Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 350

العلوم الإنسانية العدد 14 . صيف 2007

الرواية التاريخية *

تأليف: بيتر غالمـــايســـتر
ترجمة: د. محمد فؤاد نعناع **

الملخص

تتحدد الرواية التاريخية أولاً عن طريق موضوعها : حيث يتعلق الأمر برواية تصف أشخاصاً تاريخيين ووقائع تاريخية ، أو تحاول رسم صورة إحدى المراحل الماضية بالاعتماد على شخصيات مختلفة . فهي تشكل سيرة أحد الأشخاص التاريخيين مع طاقة انفعالية شعرية ، أو تركب وقائع تاريخية من خلال حدث مختلق. إنها تقوم بعرض حسّي للأشخاص والأحداث التي وقعت في العصور الماضية. وممّا يجدر ذكره أن كثيراً من الروايات التاريخية لا تعالج مواضيع تاريخية فقط ، وإنما تعكس مشكلات الحاضر الذي تنشأ فيه أيضاً . إذن فالرواية كثيراً ما تتحرك على مستويين : فهي تصف مرحلة ماضية ، وتعالج الصراعات الموجودة في عصر المؤلف . وعلاوة على ذلك فإن مؤلف الروايات التاريخية يتبنّى رأياً محدداً حول نشأة التيارات والمناقشات التاريخية وسيرها . إنه يقدم تفسيراً محدداً للرواية المنقولة ، ويوضح بطريقته الوصفية فلسفته التاريخية .

تقف الرواية التاريخية في علاقة توتر بين الماضي و الحاضر ، فهي تضع القارئ أمام السؤال ، إلى أي حد يكون عرضها للوقائع الماضية أميناً من الناحية التاريخية؟ وما الأقوال التي تعبر بها عن الحاضر ؟

---

* *المقال الأصلي باللغة الألمانية بعنوان* Der historische Roman *لـ* Petra Gallmeister *، وهو منشور في كتاب « الأشكال الأدبية » ، إعداد أتو كنورّش ، شتوتغارت ١٩٩١ ، ص ١٦٠-١٧٠ .*

** *باحث ومترجم سوري يعمل حالياً أستاذاً مساعداً في كلية التربية الأساسية بالكويت .*

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 351

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 352

صدرت روايته التاريخية الأولى (ويفرلي) التي عالج فيها ثورة كارل ستوارت التي وقعت منذ الستينات . ثم كتب سكوت بعد النجاح العظيم لبدايته عدة روايات تاريخية حول تاريخ إسكوتلندا . وهذه الروايات تتميز من خلال الأمانة التاريخية بالتفاصيل أمانة تامة، وهي تصف الناس الذين التصقوا بسيكولوجيتهم ومصائرهم بعصرهم، وتطوّر طراز البطل الأوسط الذي ورّط في المناقشات السياسية، ومهمته في عرض الموضوعات ، وأهداف التيارات الاجتماعية والأحزاب المختلفة أمام القارئ . إن أول ما تهدف روايات سكوت إليه هو التاريخ لذاته .

وبناء على الاهتمام المتزايد بالتاريخ تُرجمت روايات سكوت سريعاً إلى لغات أوروبية عدة ، وكان يُعدُّ في العشرينات من القرن التاسع عشر من أكثر المؤلفين المقروئين . ثم خلفه مَنْ كتب الروايات التاريخية في كل مكان من أوروبا . ومن كبار هؤلاء ألفريد دي فيني (الخامس من آذار ١٨٦٩) ، وفيكتور هوغو (أحدب نوتردام ١٨٣١)، وأليساندرو مانتسوني (بروميسي سبوسي ١٨٢٧)، وليو تولستوي (الحرب والسلام ١٨٦٩) .

في ألمانيا توجه الرومانسيون أولاً إلى التاريخ؛ لأنهم لم يروا في الحاضر إلا تدهور النظام القديم ، وإعادة تقييم للمعايير السائدة . ولم تقع تحت تصرف آفاق مجسمة للتطور المستقبلي ، ولذا وطنوا تصور أهدافهم في الماضي المنظور المشرق غالباً . إن رواياتهم التي تدور أحداثها في الماضي غالباً ما تكون مثبتة إثباتاً دقيقاً زمنياً ، وهي لا تعطي قيمة خاصة للحقيقة التاريخية . وهذا بخلاف أعمال سكوت التي تربط موضوعها بتوضيح تاريخ ما قبل الحاضر . إن رواية أخيم فون أرنيم (حراس التيجان ١٨١٦) تقوم على دراسات تاريخية ، ولكن وصف الماضي كان ما يزال يُحاط بعناصر خرافية .

ويعود الفضل في كتابة الروايات التاريخية الألمانية الأولى التي اعتنت بمشكلات العصر المعروض، وتبنت النزاع السياسي إلى هاينريش تشوكّه في رواية (أدريش في

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 353

إنَّ النوعية الجمالية لإحدى الروايات التاريخية تقيس نفسها إلى جانب التشكيل اللغوي وحيوية الشخصيات والثقة بمصائرها بطريقة عرض التاريخ ، والتضمين الناجح للوقائع التاريخية في الحدث، واندماج الشخصيات التاريخية والخيالية في الوقائع في صورة موحدة .

لقد نشأت الرواية التاريخية في بداية القرن التاسع عشر وشكلت مؤهلات هذه الرواية معرفة بعملية السياق التاريخي وتكوين وعي تاريخي نوعي . إنه تطور بدأ بهيردر وتابعه هيغل ، والرومانسيون . وهاهو ذا هيردر يتحدث قائلاً : إن كل مرحلة من مراحل التطور التاريخي يجب أن تفهم ، ويحكم عليها من تلقاء ذاتها . ويؤكد هيغل طابع عملية التاريخ الذي يُحَدَّد من خلال قوى محركة داخلية ، ويؤثر في مجالات الحياة الإنسانية كلها . فهو يعدُّ الإنسان كأنه نتاج عمله في التاريخ. لقد تحدث الرومانسيون عن الطابع التاريخي للبشر وطرق حياتهم ، وأدركوا أن المرافق السياسية والحق واللغة والفن تكون مفهومة من خلال تاريخهم فقط . إن مثل هذه التأملات مكَّنت أولاً تعرف التاريخ النوعي بمرحلة من المراحل ، والخلق أدبياً ، والحقيقة من خلال «اشتقاق خاصية الناس أصحاب الموضوع من الماهية التاريخية لعصرهم» (لوكاش ، ٢٣) . وحتى ذلك الحين اتخذ التاريخ في الروايات خلفية وستاراً ومثالاً للأفكار الفلسفية أو مصدراً للأحداث المليئة بالمغامرات والنوادر حول أشخاص مشهورين. إن الوعي بالتطورات التاريخية نشأ من الانقلابات الاجتماعية والسياسية في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر (الثورة الفرنسية وحروب الثورات وصعود نابليون وسقوطه وبداية التصنيع والنظام الاقتصادي الرأسمالي). لقد عرف الناس التاريخ على أنه عملية تدخل في حياتهم مباشرة . وزاد اهتمامهم بالأعمال السياسية ، وهذا ما شكّل حسب فولفغانغ مينتزل (والتر سكوت وقرنه ، ١٨٢٧) شرطاً للرواية التاريخية .

ظهرت الروايات التاريخية الأولى في إنكلترا التي كان تطور الرواية فيها سباقاً في القارة الأوروبية دائماً . ويُنظر إلى والتر سكوت على أنه المؤسس . ففي عام ١٨١٤

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 354

ويتمثل عصر الازدهار الأول للرواية التاريخية في العشرينات والثلاثينات من القرن التاسع عشر، أما في الأربعينات فقد ولدت روايات تاريخية قليلة . وما يجدر ذكره قبل كل شيء رواية (فيتوريا أكّورومبونا ١٨٤٠) للودفيج تيك . فهذه الرواية تعالج سواء أكانت مشكلات العصر المصوَّر أم مشكلات عصر المؤلف تيك . إنه يقدم صورة مجسمة لمعارك القوى في عصر النهضة الإيطالي ، كما أن نزوع فيتوريا إلى الاستقلال يطابق التأملات المعاصرة لزمن تيك في مسألة تحرر المرأة .

لقد عادت الرواية التاريخية إلى مركز الصدارة بين عامي ١٨٥٠ و ١٨٩٠ للأسباب الآتية: فمن ناحية لم يقدم الحاضر بعد إخفاق ثورة ١٨٤٨ إلا مجالاً ضيقاً للمناقشة السياسية ، ولذلك نقل بعض المؤلفين تأملاتهم السياسية إلى الماضي ، أو تجنبوا الخوض في المشكلات المعاصرة . ومن ناحية أخرى بحثت الطبقة الوسطى في الروايات التاريخية عن مشاريع توافقية بوصفها صوراً مقابلة لحاضر مزعج (التقنية الشديدة ، التصنيع ، نمو طبقة البروليتاريا) ، أو طمعت بعد ذلك في إثبات مشروعية تصورات أهدافها من خلال المطابقة التاريخية .

وقد رأى هيرمان كورتس ١٨٥٦ قيمة الرواية التاريخية في أنها تستطيع أن تعكس معنى الأحداث المصورة على الحاضر . وهكذا طالب بخيوط تمت إلى الحاضر في الرواية التاريخية . وأن تسدَّ ثغرات البحث التاريخي ، وأن تمنح الحياة للمعالم المفزعة الموفرة من هذا البحث . وهكذا سعى كورتس في روايتيه التاريخيتين (سنوات وطن شيلر ١٨٤٣ ـ ١٨٥٦) ـ تصف الحياة السياسية ـ الاجتماعية لمنطقة فورتمبيرغ تحت حكم الدوق كارل أويغن ـ ورواية (صاحب مطعم الشمس ١٩٥٥) إلى صلة بين الحقيقة الوثائقية ونقد الحاضر .

لقد ارتسم تداخل لصيق بين البحث والشعر فيما بعد رانكه ومدرسته التي عهدت إلى منهج البحث الدقيق كشف الماضي أيضاً . وسعى مؤلفو الروايات التاريخية إلى الأمانة التاريخية، وهكذا ساق فيكتور فون شيفّيل دراسة مصدرية لهذا ؛ ليزود

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 355

الطحلب ١٨٢٤) ، حيث يصف حروب الفلاحين ضد المدن في القرن السابع عشر، ورواية (بضاعة معفاة من الجمارك في آراو ١٨٢٥) التي يصور فيها منازعات سويسرا ضد النمسا في أواخر العصور الوسطى ، وكذلك إلى فيلهلم هاوف في رواية (الحجر الكريم ١٨٢٦). إن هاوف يَعُدُّ عرض الخلفيات التاريخية للظروف الاجتماعية والسياسية الخاصة بالبلاد مطلباً للرواية التاريخية ذات الطابع السكوتي (نسبة إلى سكوت)، ولذلك ينتقل إلى تاريخه الوطني الخاص (تاريخ مقاطعة شفيبش. أما رواية (الحجر الكريم) فتصف أحداث الحرب بين اتحاد مقاطعة شفيبش) ودوق فوتمبيرغ أورليش .

وينتقد فيليبالد أليكسيس اختيار الموضوع على أساس أن التاريخ الألماني لا يوفر إلا القليل من المادة ذات الاهتمام العام بسبب تشتت ألمانيا ، إلا أنه يعود فيما بعد إلى التاريخ الألماني ، مما جرّ عليه مآخذ مماثلة . لقد أراد أليكسيس أن يوقظ الحاضر من خلال المجابهة مع الماضي ، فصوّر تاريخ براندنبورغ. بروسيا في أواخر العصور الوسطى حتى الماضي القريب في مجموعة روايات ، هي : (كابانيس ١٨٣٢)، و (رولا ألبرليني ١٨٤٠) ، و (فالدمار المنافق ١٨٤٢) ، و (سراويل سادة بريدوف ١٨٤٩) ، و (الراحة أول واجبات المواطنين ١٨٥٢) ، و (إزيغريم. معنى هذه الكلمة الإنسان المتجهم أو الذئب في حكايات الحيوان الخرافية (المترجم)- ١٨٥٤) ، و (دورثيا ١٨٥٦) . وقد نجح أليكسيس بوصفه الأول أن يرسم صورة كاملة للمرحلة ، حيث كان ينطلق من العلاقة بين الأحداث التاريخية وبين مصائر الناس . وهكذا طالب في كتابه (رومانسية والتر سكوت ١٨٣٢) الرواية التاريخية بالاقتراب من الواقع وعدم الانحياز ، واتخذ والتر سكوت نموذجاً للبطل المتوسط الذي يُقَدَّم في صعوباته مع البيئة الخارجية والسياسية . ويُشار إلى أن تأملات مماثلة قادت تيودور موندت (علم الجمال ١٨٤٥) إلى مطالبته باندماج التاريخي والشعري في الرواية التاريخية .

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 356

وهما تسيئان إلى الجنس الأدبي في علم الأدب عامة .

إن الحركات الوحدوية القومية في إيطاليا وسويسرا وألمانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر شجّعت تكوين وعي تاريخي قومي عام ، مثلما شجّعت العناية بالتذكر الشعري للتاريخ حتى ذلك الوقت . غوستاف فرايتاغ عرض في عمله التاريخي المؤلف من ثمانية مجلدات (الأجداد ١٨٧٢ ـ ١٨٨١) الذي يصور تاريخ تنقل نسب الشعوب حتى عام ١٨٤٨ ، التواصل في التطور التاريخي للشعب الألماني ، وعلاقة الفرد بأسلافه . إن معرفة هذه العلاقات ينبغي أن توفر الأمان والشعور القومي للوقوف على أساس متين .

هل تكون العلاقة بالعصر الخاص بالمؤلف واضحة هنا ؟ وبناء على ذلك فإن كونراد فيرديناند ماير يبحث في روايته التاريخية (يورغ يناتش ١٨٧٤) ، وفي قصصه التاريخية تجارب عصرية ومشكلات حالية فقط . إنه يعالج موضوع الوحدة الوطنية والصراعات بين العمل والدين ، والهوى والضمير ، ويعتني بتصوير تجاربه ومشاعره الخاصة . وهو يؤثر القصة التاريخية على الرواية المعاصرة بسبب التنكر الأفضل . لقد نجح ماير في ربط أسلوب الموضوعية الشديدة مع الأقوال الذاتية والفردية.

لقد شكّل نقد الحاضر بالنسبة إلى كثير من مؤلفي الروايات التاريخية جانباً مهماً . وهذا عمل أدالبيرت شتيفتر (فيتيكو ١٨٦٧) يحتضن تاريخ القرن الثاني عشر الغامض ، ويضع نموذجاً سياسياً يقوم على قوانين الأخلاق والحق بوصفه صورة مقابلة لعصره .

ويوجد جدل نقدي حول التاريخ البروسي في روايات تيودور فونتانه التاريخية، مثلاً في رواية (قبل العاصفة ١٨٧٨) ، ورواية (لعبة شطرنج فوتينوف ١٨٨٢). فرواية (قبل العاصفة) تقص في تصوير مفصل ووصف قصصي حكاية الثورة البروسية ضد نابليون ، وتحاول أن توفر صورة للعصر والآداب. أما رواية (لعبة

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 357

روايته التاريخية حول (الراهب ايكيهارد ١٨٥٥) في العصور الوسطى بملاحظات علمية . لقد كان توحيد العلم والفن هدفاً ، كما هو الحال لدى فيلهلم هاينريش ريهل الذي وصف في قصصه المتعلقة بتاريخ الحضارة (١٨٥٦) آداب العصور الماضية من خلال صور الحياة اليومية . إن تحول شيفيل إلى التاريخ يعني مطالبة بالعودة، إنه هروب إلى الماضي الذي ينبغي أنه ما زال يحتفظ برؤية مخلصة إلى الحياة والعالم وبنضارة بسيطة .

إن الربط بين العلم والأدب قاد إلى ما يُسمى برواية الأساتذة : وهي الرواية التاريخية التي كتبها الأساتذة والتي سعت إلى تصوير واضح للمراحل الماضية، والتزمت قبل كل شيء بالحقائق المأثورة ، واهتمت بالتشكيل الفني للمادة اهتماماً قليلاً . وينضم إلى هذا التيار : جورج إبيرس في روايته (بنت ملك مصرية ١٨٦٤)، وفليكس دان في روايته (دي كلاودير ١٨٨١) . لقد انتقلت الرواية التاريخية إلى موضة ، وقام كثير من المؤلفين بكتابة أدب التسلية الذي يتعلق بموضوعات تاريخية. وعلى سبيل المثال لويزه موهلباخ التي انتقدت في أعمالها الحاضر قبل عام ١٨٤٨ ، فقد ألفت مجموعة من الروايات المتعلقة بالتاريخ الألماني، وفيها كشفت عن الأشخاص التاريخيين من الناحية السيكولوجية – الإنسانية، وهذا ما يعادل خصخصة التاريخ . لقد تنازل علم التاريخ للأدب عن إضاءة المكونات السيكولوجية الفردية للحوادث التاريخية ، فكان أول ما درست المؤلفة نفسها مجموعة وضعية من الحقائق . إن رواية الأساتذة والأعمال المسلّية تميل إلى السمو بالتاريخ ، وهي تصدر عن سيكولوجية جديدة ، وتشترط لدى ذلك أن سلوك الناس ومعاييرهم الأخلاقية تبقى متشابهة في الأزمنة المختلفة . لقد أدت الروايات التاريخية المسلّية إلى نشوء الرواية التنكرية ، حيث لا يلعب فيها العصر الماضي المصور دوراً كبيراً ، وحيث تستخدم الطابع التاريخي على أنه ستار يقطر بالفضول والغرابة والمخاطرة . وتكوّن رواية الأساتذة والرواية التنكرية ضفتين متضادتين إلى أبعد حد للرواية التاريخية ،

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 358

١٩١٨ ـ ١٩٢١) لفالتر فون مولو مثلاً على عرض الرأي الآخر . إن خيط الحاضر بالمادة التاريخية هيأ معظم المؤلفين بسبب قناعتهم إلى عودة التشابه في السياق التاريخي . ويُعد ليون فويشتفانغر أول من استخدم دائرة موضوعات تاريخية لعرض المشكلات والتجارب الحالية ، فقد خدمته في الوصول إلى الموضوعية والتحفظ بشكل أفضل. ففي روايته (يود زوس ١٩٢٥) يرسم طريق أحد الرجال من العمل إلى التأمل، وكان عمد أولاً أن يبني هذا التطور مستشهداً بفالتر راتيناوس ، ولكنه قرر فيما بعد أن يعرض الموضوع بناء على طريق حياة أوبناهايمر في القرن الثامن عشر. ويشير ألفريد دوبلين في عمله (صخرة الغليان ١٩٢٠) الذي قام على أساس تجربته في الحرب العالمية الأولى ، إلى الخلافات الاقتصادية والسياسية لحرب الثلاثين سنة ، والحرب العالمية الأولى معاً .

إلا أن مؤلفي الروايات التاريخية لم يعالجوا الخلفيات التاريخية أو آلية المناقشات السياسية بشكل ملح ، فقد اقتصروا على الوجوه السيكولوجية للأحداث التاريخية كثيراً . وهذا برونو فرانك يركز عل الحالة النفسية لشخصياته التاريخية . فرواية (أيام الملك ١٩٢٤) تصف المشكلات الجنسية والعزلة ، ومانتج من قسوة فريدريش الثاني ، ورواية (ترنك ١٩٢٥) تصور الحب غير المشبع بين أماليا أخت فريدريش والمعاون ترنك. وتصف روايات ألفريد نويمان التاريخية في المقام الأول علاقات متعددة النواحي بين الناس الذين تشكل الوقائع التاريخية مصائرهم المضطربة . ويبدو العمل السياسي بوصفه إنسانياً أو مثيراً للمصائب . فرواية (الشيطان ١٩٢٦) تعالج موضوع الصلة بين لودفيج الحادي عشر آل فالويس وممثله المستشار نيكر . ورواية (غويرا ١٩٢٨) تتناول ثورة الحركة القومية الإيطالية عام ١٨٤٨ .

ويعود يوسف روت بتصوير عاجل في روايته (مسيرة راديتكسي ١٩٣٢) ، فهو يصف انهيار مملكة هابسبورغ مثلاً لعائلة تروتا ، ويصف الكآبة وحالة الضياع في السنوات الأخيرة قبل الحرب العالمية الأولى ، غير أنه في رواية (قبر الراهب ١٩٣٨)

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 359

شطرنج) فهي دراسة متعاطفة من الناحية السيكولوجية لشبح ضابط بروسي في الماضي ، وفي عصر فونتانه الذي مارس نقداً قاسياً .

لقد نشأت في مستهل القرن الجديد روايات وطنية تاريخية ، ومارس قسم منها التمجيد الذاتي القومي، مثل رواية (ذئب السد ١٩١٠) لهيرمان لون .

ولم يضع مؤلفون آخرون قيمة خاصة على التاريخ في الروايات التاريخية التي كانوا يريدون فيها ، كما في غيرها من الروايات، أن يصوروا الحقيقة العميقة للحياة، وأن يسهموا في إدراك الواقع . ويمثل هذا الفهم على سبيل المثال ماكس برود (حول معنى الرواية التاريخية ومكانتها ١٩٥٦) ، فروايته (طريق تيخو براهه إلى الله ١٩١٦) تصف الشوق إلى الله تعالى ، والتماس فكر عالم الفلك الملكي تيخو براهه في القرن السادس عشر .

وعلى العكس من ذلك حاولت ريشارده هوخ أن تدرك جوهر المرحلة الموصوفة من قبلها ، ففي روايتها التاريخية حول حرب الثلاثين سنة (الحرب الكبرى ١٩١٢-١٩١٤) تربط بين البحث المصدري الشديد ذي الصبغة السيكولوجية المضبوطة وبين التشكيل الدقيق المعاني فنياً .

بعد انتهاء الحرب العلمية الأولى ، وبناء على انقلابات تاريخية مهمة ، مثل سقوط الأنظمة الملكية ، وبناء الجمهوريات بتأثير الحركات الثورية في ألمانيا والنمسا ، وثورة أكتوبر في روسيا اكتسب التاريخ من جديد أهمية عظيمة لدى المؤلفين والقراء ، فقد ساعدت التغيرات السياسية على معرفة أن تؤثر التطورات التاريخية والأحداث في حياة الأفراد ، فقادت إلى الاجتهاد في فهم التعاقب التاريخي فهماً أفضل ، أو إلى التشوق إلى حياة منظمة واضحة للماضي . وهكذا تجنب مؤلفو الروايات التاريخية الحاضر ، ورأيهم في الجمهورية الجديدة، أو أن تعبيرهم حول التاريخ كان يخدم تحقيقهم الذاتي ونقد الحاضر . لقد حدث نقد للعصر سواء أكان من موقع ليبرالي حتى اشتراكي أم من موقع محافظ أم قومي . وتُذكر هنا ثلاثية (ثلاثية فريدريكو

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 360

يوس فريتس السياسي بين الفلاحين . ويعالج هاينريش مان الشكل التاريخي على أنه رمز لزمنه الخاص ، ويصف مذهب الإنسانية المكافح لهنري كُفاتره في روايتيه عنه (١٩٣٥ ـ ١٩٣٨) بأنه مثال يُحتذى ، ويبعث على الشجاعة . إنه يوضح خيط الجدل التاريخي بالحاضر ، حيث يزود خصوم هنري ، أي العصبة حول دوق كويزه بملامح نازية . ويضع فويشتفانغر في (نيرو المزيف ١٩٣٦) رسماً كاريكاتيرياً لتصرف النازيين التمثيلي .

إن دور الكاتب في المجتمع كوَّن موضوعاً مهماً لدى المؤلفين المنفيين . برونو فرانك يرسم مثلاً في عمله (سيرفانتس ١٩٣٤) تطور سيرفانتس إلى شاعر يتحدث عن سوء حال المجتمع والسلوك الإنساني المنحرف، ويجعله مضحكاً . ويتناول فويشتفانغر في ثلاثيته حول المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس (الحرب اليهودية ١٩٣٢ ، الأبناء ١٩٣٥ ، وسيأتي اليوم ١٩٤٥) إشكالية العلاقة بين الفكر والقوة ، ويتساءل عن تأثير كتابة التاريخ . وفي سلسلة آرنولد تسفانغ حول الحرب العالمية الأولى ينجح أحد الكتاب تدريجياً في معرفة ضرورة الالتزام السياسي والاجتماعي، وكذلك للفنان أيضاً . ويتبنّى تسفانغ في هذه السلسلة الروائية موضوعاً مهماً آخر للمنفيين ألا وهو نشوء حرب ما. ويترك في عمليه (التربية قبل فيرون ١٩٣٥) و (تنصيب ملك ١٩٣٧) بطله المختص يجتاز عملية التطور حيث يتعلم أن الأمر في الحرب العالمية الأولى يتعلق بمسائل القوة والاهتمامات الاقتصادية .

أما بعد الحرب العالمية الثانية فقلما نشأت روايات تاريخية بغض النظر عن أدب التسلية . لقد أصبح التاريخ مريباً ، وأخذ المؤلفون في الدولتين الألمانيتين بمعالجة الحاضر ، أو حاولوا استهلاك الماضي المبكر . ومنذ السبعينات انتقل الكتّاب من جديد إلى التاريخ ، ذلك أنه بعد توطيد العلاقات الاجتماعية الجديدة وخيبة الآمال (حركات الطلاب ، والمطامح الإصلاحية لعام ١٩٦٨) نشأ اهتمام من جديد للبحث عن متوازيات للحالة الخاصة في التاريخ ، ولتوضيح التطورات التاريخية التي قادت

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 361

يقع في الدفاع عن الماضي .

لقد قاد حكم الاشتراكيين النازيين في عام ١٩٣٣ إلى انفصال الأدب الألماني في الأعمال التي ألفت في المنفى وفي الرايخ الثالث ، وقد وردت معالجة المواد التاريخية في المجموعتين .

إن المؤلفين الذين بقوا في ألمانيا كتبوا روايات تاريخية ليعرضوا فهم الاشتراكيين القوميين للتاريخ ومن هؤلاء: هانس فريدريش بلونك و أرفين جوديدو كولبنهاير أو ليتجنبوا المسائل الحالية ، أو لينتقدوا ظواهر السيادة الاشتراكية القومية ضمن حادثة تاريخية. وهكذا استخدم الأواخر اللغة الرمزية استخداماً كثيراً منطلقين من تصورات القيمة الدينية . ويمثّل هذا الجانب فيرنر بيرغنغروين في روايته (الطاغية الكبيرة ، والمحكمة ١٩٣٥) و راينهولد شنايدر في روايته (لاس كازاس أمام كارل الخامس ١٩٣٨) .

لقد انتقل المؤلفون المنفيون لأسباب مختلفة إلى التاريخ : فالحاضر كان بالنسبة إليهم غير معقول؛ نظراً إلى تشريدهم من ألمانيا ، وإرهاب الاشتراكيين القوميين . وهكذا أرادوا أن يصوروا التطورات التاريخية التي قادت إلى تولي النازيين الحكم ، فدارت موضوعاتهم حول إيجاد نماذج لكفاحهم من أجل الحرية والعدالة والإنسانية. أما المؤلفون الذين رأوا في الرواية التاريخية مسألة جمالية ، وليس سياسية ، فهم قلائل ، ومنهم هيرمان كيستن . أما أغلبية هؤلاء المؤلفين فقد ألحقوا بالرواية معنى معاصراً لحوارهم مع الفاشيين . وهذا ألفريد دوبلين (الرواية التاريخية ونحن ١٩٣٦) يوضح أن الذهول بالزمن الخاص يحدد الاختيار والتشكيل لمادة تاريخية ما .

ولهذا اهتم غوستاف ريغلر بأن يبحث عن تاريخ المحرومين من حقوقهم في كل العصور وعن رفاق اتحاديين للكفاح الحاضر . فقد شكّل في عمله (الزرع ١٩٣٦) اتحاداً للفلاحين في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، وأشار إلى تحريض

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 362

المصادر

١_ فويشفانغر ، لـ ز : بيت ديدمونه ، رودولشتات ١٩٦١ .

٢ _ لوكاش ، ج . : الرواية التاريخية . في : أعمال الواقعية ومشاكلها ، المجلد ٣ ، الجزء السادس ، نيوفيد ـ برلين ١٩٦٥ .

٣ _ ايغيرد ، ه . : دراسات حول تاريخ تأثير الرواية التاريخية الألمانية بين ١٨٥٠ ـ ١٨٧٥ ، فرانكفورت ١٩٧١ .

٤ _ شرويتر ، ك . : الرواية التاريخية . في : غريم و هيرمان (إعداد) : المنفى والهجرة الداخلية ، فرانكفورت ١٩٧٢ .

٥ _ ماير ، م . : نشأة الرواية التاريخية في ألمانيا ومكانتها بين كتابة التاريخ والشعر ، ميونيخ ١٩٧٣ .

٦ _ نايسن ، إي . : الوعي التاريخي والهجرة ، ميونيخ ١٩٧٤ .

٧ _ غيبيرت ، ه . ف . : الرواية التاريخية الأخرى . نظرية نوع أدبي متقطع وأبنيته ، توبنغن ١٩٧٦ .

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 363

إلى الحاضر أو لتفسير الماضي تفسيراً جديداً .